العلاقات الاجتماعية عبر الانترنت: بين العالم الافتراضي والممارسة الواقعية

أ. سميشي وداد

جامعة أم البواقي

الملخص :

لقد طرح تزايد الإقبال على شبكة الانترنت جملة من الإشكاليات العلمية على المستوى الاجتماعي، الثقافي وحتى العقائدي حيث تحولت المجتمعات الحديثة من مجرد الاهتمام بإنتاج السلع والخدمات إلى توجيه اهتمام متزايد إلى قطاع المعلومات، وظهرت صناعة جديدة تسمى صناعة المعلومات

و يشكل الفضاء الافتراضي أهم إنجازات ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي شهدها العالم، فالتطور المذهل لشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) وانتشار التقنيات الحديثة للاتصال، وتزايد تطبيقاتها، ساهم في ظهور نوع جديد من الإعلام، أثر بطريقة أو بأخرى على علاقاتنا بالآخرين بل وحتى على علاقتنا بذواتنا.

Abstract :

The growing popularity of the Internet has raised a number of scientific problems at the level of social, cultural and even ideological where modern societies transformed from mere interest in the production of goods and services to guide the growing interest in the information sector, featured a new industry called the Information Industry Information Industry.

The virtual space the most important achievements of information and communication that the world has witnessed the IT revolution, evolution stunning international information network (the Internet) and the spread of modern technologies of communication, and the increasing applications, contributed to the emergence of a new type of media, the impact one way or another on our relationships with others and even our relationship with our selves.

مقدمة :

يثير الاستخدام المتزايد والمتسارع لمواقع الشبكات الاجتماعية في مناطق العالم المختلفة تساؤلات حول مدى تأثير استخدام هذه المواقع على المعايير والممارسات المهنية في مجال الاتصال والإعلام . لذا، فقد أجريت عدداً من البحوث في هذه السبيل يناقش بعضها حقوق الخصوصية التي يمكن أن يتمتع بها مستخدمو هذه المواقع، ومدى تطور الإطار التشريعي التي يمكن تفسير هذه القضية من خلاله، فيما ركزت أبحاث أخرى على الفوائد التي يجنيها المستخدمون لبعض المواقع المهتمة بمجال المال والأعمال،

وتتناول أبحاث أخرى سلوكيات مستخدمي هذه الشبكات في أثناء وجودهم عليها، بما في ذلك تأثيرات هذه السلوكيات على بيئة العمل.

إن بناء المساحات الافتراضية Architecture of Virtual Spaces يشبه كثيراً بناء المساحات المادية الحقيقيةPhysical Spaces ، وهو ما يوحي على الفور ويمكن أيضاً من خلق مناخ للتفاعل. وقد ارتبط بناء المساحات على شبكة الإنترنت بمجموعة من السلوكيات يمكن النظر إليها على أنها قامت بتحرير التعبير Liberating Expression من الأغلال التي كانت تكبله، وذلك عن طريق المجهولية Anonymity التي يمكن من خلالها عدم الإفصاح عن الهوية الحقيقية للفرد، أو محاكاة الحياة الحقيقية في البيئة الافتراضية .Virtual Environment وهكذا، فإن البحوث الأولى قامت بدراسة كيفية تأثير المعالم البنائية للمساحات الافتراضية على تقديم الذات Self-Presentation والتعبير عن الذات. ومؤخراً، ركزت البحوث على العناصر التصحيحية والبنائية للشبكات الاجتماعية على الإنترنت، التي يتم توظيفها لدعم مشاركة الاتصال، ودعم العلاقات الاجتماعية لهذا الجيل عن طريق الإنترنت، وتعزيز الاتصال الفعال.

أولا: العالم الافتراضي: مفاهيم..وإسقاطات نظرية

هو مصطلح استخدمه لأول مرة وليام جبسون في روايته الرومانسيون الجدد التي نشرت في أمريكا عام 1984 حيث ينشئ الناس عالما، وهو ليس مكانا واقعيا كما أنه ليس فضاءا حقيقيا بل هو مكان خيالي أو وهمي، ينشأ من خلال النقر على لوحة مفاتيح الحاسب, ويعرّف فريديريك مايور ذلك الفضاء الالكتروني أو المعلوماتي بأنه بيئة إنسانية وتكنولوجية جديدة للتعبير والمعلومات والتبادل وهو يتكون أساسا من الأشخاص الذين ينتمون لكل الأقطار والثقافات واللّغات والأعمار والمهن المرتبطة ببعضها البعض عن طريق البنية التحتية الاتصالية التي تسمح بتبادل المعلومات ونقلها بطريقة رقمية. [1]

إذا كان المجال العام الواقعي يشكل بوابة للمشاركة في تفاعلات متباينة الاتساق والقوة فإن الإنترنت قد شكل فضاءا جديدا يمنح الفرصة أمام تشكيل مجال عام جديد وهو المجال العام الافتراضي. وهو مجال يعتمد على التبادل المجاني للأفكار والآراء بين المواطنين ويلعب دورا في هدم الأنظمة ويتصف بأنه مجال تفاعلي يعتمد على المشاركة.

إن شبكة الانترنت خلقت مجتمعات موازية يتم فيه إحداث أشكال وأنماط جديدة للتعبير وخلق علاقات اجتماعية لا يمكن أن تخلق في وضعيات أخرى، أي أن هذه الأنماط الخاصة بالتعبير، الاتصال والعلاقات فريدة ومتميزة ببعض الميزات لا نجدها في المجتمع الواقعي أو في فضاء آخر من فضاءات الاتصال والتفاعل الاجتماعي.

يعرّف سيرج بروكس Serge Proulx المجتمع الافتراضي "بأنه مجموعة أفراد يستخدمون منتديات المحادثة، حلقات النقاش، أو مجموعات الحوار..والذين تنشأ بينهم علاقة انتماء إلى جماعة واحدة lien d'appartenance ويتقاسمون نفس الأذواق والاهتمامات ولهم أهداف مشتركة"، إذن فالمجتمع الافتراضي

---

[1] محمد جمال الفار: ***المعجم الإعلامي***، *دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010، ص89*

هو مجموعة من الأفراد يستخدمون منتديات الحوار الالكترونية تعرفوا على بعضهم البعض وشكلوا علاقات فيما بينهم افتراضيا، ولهم معايير وقواعد خاصة بهم، ولهم نفس الاهتمامات والأفكار والمميزات، وهذا ما يجعلهم يبنون علاقات وطيدة مثل تلك التي تتشكل في المجتمع الحقيقي ويطلق على هؤلاء الأفراد تسمية " الأفراد الافتراضيين" الذين يمكن اعتبارهم كائنات حوارية كتابية في أغلب مظاهرهم ويتميز هؤلاء الأفراد بغياب الصورة الجسدية الفيزيقية الملموسة للإنسان، بحيث تحل محلها الحوارات التي يقدمها الأفراد[1].

ثانيا: كينونة العالم الافتراضي عبر مواقع التواصل الاجتماعي

لقد أتاحت المواقع الاجتماعية لمتصفحيها إمكانية مشاركة الملفات والصور وتبادل مقاطع الفيديو, وكذلك مكنت مستخدميها من إنشاء المدونات الإلكترونية وإجراء المحادثات الفورية وإرسال الرسائل, وتصدرت الشبكات الاجتماعية هذه ثلاثة مواقع هامة ورئيسية هي: الفيس بوك وتويتر وموقع مقاطع الفيديو اليوتيوب. ونتيجة لتنامي وتطور هذه المواقع الإجتماعية, فقد أقبل عليها ما يزيد عن ثلثي مستخدمي شبكة الإنترنت,

كما تقدم شبكات التواصل الاجتماعي خدمات عديدة لمستخدميها ممن لديهم اهتمامات متشابه سواء أكانوا زملاء دراسة أو عمل أو أصدقاء جدد, وهذه المواقع ظهرت تباعاً في منتصف التسعينات من القرن الماضي, واستمر ظهورها حتى أوائل القرن الواحد والعشرين, لكنها لم يكتب لها النجاح بالرغم من التشابه الكبير في الخدمات التي تقدمها, حتى ظهرت مواقع جديدة سجلت نجاحات ملموسة مثل: (ماس سبيس وتويتر وفيس بوك), التي استطاعت أن تستقطب أعداداً كبيرة من متصفحي الإنترنت, وتعاظم دورها في السنوات الأخيرة وخصوصاً:

1- الفيس بوك

هو شبكة اجتماعية استأثرت بقبول وتجاوب كبير من الناس خصوصاً من الشباب في جميع أنحاء العالم, وهي لا تتعدى حدود مدونة شخصية في بداية نشأتها في شباط عام (2004), في جامعة (هارفارد) في الولايات المتحدة الأمريكية, من قبل طالب يدعى (مارك زوكربيرج), وكانت مدونته (الفيس بوك) محصورة في بدايتها في نطاق الجامعة وبحدود أصدقاء (زوكربيرج), الطالب المهووس في برمجة الكمبيوتر, ولم يخطر بباله هو وصديقين له إن هذه المدونة ستجتاح العالم الافتراضي بفترة زمنية قصيرة جداً, فتخطت شهرتها حدود الجامعة وانتشرت في مدارس الولايات المتحدة الأمريكية المختلفة, وظلت مقتصرة على أعداد من الزوار ولو أنها كانت في زيادة مستمرة.

2-تويتر

---

*-Serge Proulx **: les communautés virtuelles, construisent –elles du lien social** ?, colloque 1 international : l'organisation média, dispositifs médiatiques, sémiotiques et des médiations de l'organisation, université Jean Moulin,Lyon, 19_20/11/2004*

هو أحد شبكات التواصل الإجتماعي, التي انتشرت في السنوات الأخيرة, وأخذ (تويتر) أسمه من مصطلح (تويت) الذي يعني (التغريد), وأتخذ من العصفورة رمزاً له, وهو خدمة مصغرة تسمح للمغردين إرسال رسائل نصية قصيرة لا تتعدى (140) حرفاً للرسالة الواحدة, ويجوز للمرء أن يسميها نصاً موجزاً مكثفاً لتفاصيل كثيرة".

ويمكن لمن لديه حساب في موقع تويتر أن يتبادل مع أصدقائه تلك التغريدات (التويتات), من خلال ظهورها على صفحاتهم الشخصية, أو في حالة دخولهم على صفحة المستخدم صاحب الرسالة, وتتيح شبكة تويتر خدمة التدوين المصغرة هذه, إمكانية الردود والتحديثات عبر البريد الإلكتروني, كذلك أهم الأحدث من خلال خدمة (RSS) عبر الرسائل النصية (SMS).

كانت بدايات ميلاد هذه الخدمة المصغرة (تويتر) أوائل عام (2006), عندما أقدمت شركة (Obvious) الأمريكية على إجراء بحث تطويري لخدمة التدوين المصغرة, ثم أتاحت الشركة المعنية ذاتها استخدام هذه الخدمة لعامة الناس في أكتوبر من نفس العام, ومن ثم أخذ هذا الموقع بالانتشار, باعتباره خدمة حديثة في مجال التدوينات المصغرة, بعد ذلك أقدمت الشركة ذاتها بفصل هذه الخدمة المصغرة عن الشركة الأم, واستحدثت لها أسماً خاصاً يطلق عليه (تويتر) وذلك في أبريل عام (2007).

3-اليوتيوب

من أوائل الاستخدامات لمواقع التواصل الاجتماعي كان لغرض عرض الصور ومشاهدة الأفلام وقد كان الفرد يتكلف كثيرا لمشاهدة أو تحميل الفيلم عبر الانترنت، ولكن مع تطور وسائل الاتصال وتقنيات الحاسوب وبرامج التحميل ظهرت وسائل مبتكرة ورخيصة لتحميل ومشاهدة الأفلام عبر المواقع الالكترونية والرائد في هذا المجال كان موقع اليوتيوب.

فاليوتيوب موقع الكتروني يسمح ويدعم نشاط تحميل وتنزيل ومشاركة الأفلام بشكل عام ومجاني، وهو ما يسمح بالتدرج في تحميل وعرض الأفلام القصيرة، من أفلام عامة يستطيع الجميع مشاهدتها إلى أفلام خاصة يسمح فقط لمجموعة معينة بمشاهدتها.

وقد تأسس موقع اليوتيوب في فبراير سنة 2005 بواسطة ثلاثة موظفين سابقين في شركة "باي بال" هم "تشاد هيرلي" و"ستيف تشين" و"جاود كريم" في مدينة كاليفورنيا، ويستخدم الموقع تقنية الأدوبي فلاش لعرض المقاطع المتحركة، حيث إن محتوى الموقع يتنوع بين مقاطع الأفلام، والتلفزيون، ومقاطع الموسيقى، والفيديو المنتج من قبل الهواة وغيرها. [1]

4- المدونات الالكترونية

[1] *عباس مصطفى صادق: **الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات**، ط1، دار الشروق، الأردن،2008، ص 188. 189*

لقد تعددت واختلفت تعاريف ومفاهيم ظاهرة المدونات، هناك من عرفها حسب اختصاصه، وآخر حسب مفهومه العام واطلاعا ته أو حسب ما سمعه عنها. ولحد الآن لم نتوصل إلى تعريف توافقي لهذه الظاهرة، لأنها في حقيقة الأمر لم تجد بعد مستعمليها بمعنى الكلمة في الوطن العربي. وسنحاول التعرض فيما يلي إلى مجموعة من التعاريف المتفق عليها بين الباحثين والمهتمين بخدمة المدونات الالكترونية.

وفي المعجم الوسيط: دوَّن (الديوان): أنشأه أو جمعه. و دوَّن الكتب: جمعها ورتبها، وهي كلمة معرّبة.

وعموما "المدونات هي واحدة من المستحدثات الاتصالية الأخيرة، التي تسرع تقاسم المعلومات وتشكيل مجتمع محلي افتراضي. وينبغي النظر إلى المدونات كمفهوم بني على جذور فلسفية عميقة وخفية. جذور يبدو أنها تساهم لاشعوريا في استحداث المدونات الجارية. والمدونات الأفضل هي تلك التي طورت أساليب الكتابة والاتصال التي تتسم بالنزاهة والحوار والدارجة والتفاعلية التي تؤسس الوفاء والثقة المتبادلة. والمدونات ليست الطريقة الأبسط والأسرع لإدارة الاتصال مع جماعة عريضة وموزعة على نطاق واسع وحسب، وإنما هي بسيطة وسريعة حقا. وهذا يطبق على المدونات التي تستعمل النص والصوت والفيديو. فتقاسم بذلك المعلومات ورجع صدى ". أعطى لنا هذا التعريف مميزات المدونة من خلال العملية الاتصالية ولكن المدونة ليست عملية اتصالية افتراضية سهلة وفقط.

– "المدونة وسيلة جديدة وهامة في الاتصال وتحرير الكلمة، بالنظر إلى الحرية الكبيرة التي تمنح لآلاف الأشخاص للحديث عنة كل ما يحز في نفوسهم، دون قيد أو شرط".[1]

ثالثا:العلاقات الاجتماعية: دلالات مفاهيمية

تُعرّف العلاقات الاجتماعية بأنها: الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد في المجتمع، والتي تنشأ نتيجة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع . وتعتبر العلاقات الاجتماعية التي تتبلور بين الأفراد في مجتمع ما بناء علي تفاعلهم مع بعضهم البعض – بغض النظر عن كونها علاقات إيجابية أو سلبية – من أهم ضرورات الحياة . وعليه فإنّ موضوع العلاقات الاجتماعية أصبح يحتل مكانة هامة في العلوم الاجتماعية. ولقد أشارات الدراسات التحليلية التي تناولت بالدراسة والبحث موضوع العلاقات الاجتماعية إلى أنها تبدأ بفعل اجتماعي يصدر عن شخص معين يعقبه رد فعل يصدر من شخص آخر ويطلق على التأثير المتبادل بين الشخصين أو بين الفعل ورد الفعل اصطلاح التفاعل. لذا لابد أن نفرق بين الفعل الاجتماعي وبين غيره من الأفعال غير الاجتماعية؛ فالفعل الاجتماعي وفقاً لتعريف ماكس فيبر هو: " السلوك الإنساني الذي يحمل معنى خاص

---

[1] فاطمة الزهراء عبد الفتاح: ***المدونات الالكترونية والمشاركة السياسية***، ط1، دار العالم العربي، مصر،2012،ص 55 59

يقصد إليه فاعله بعد أن يفكر في رد الفعل المتوقع من الأشخاص الذين يوجه إليهم سلوكه ". هذا المعنى الذي يفكر فيه الفرد ويقصده هو الذي يجعل الفعل الذي يقوم به اجتماعيا. والتفاعل الاجتماعي بما ينطوي عليه من علاقات ناشئة في إطاره، يقوم على أساس مجموعة من المعايير التي تحكم هذا التفاعل من خلال وجود نظام معين من التوقعات الاجتماعية في إطار الأدوار والمراكز المحددة داخل المجتمع. ونظراً لأن التفاعل الاجتماعي وسيلة اتصال بين الأفراد والجماعات فإنه بلا شك ينتج عنه مجموعة من التوقعات الاجتماعية المرتبطة بموقف معين. وتؤدي العلاقات الاجتماعية إلى ظهور مجموعة من التوقعات الاجتماعية الثنائية؛ الأمر الذي أدي بالباحثين في هذا الصدد إلى تصنيف تلك العلاقات إلى عدة أقسام متمايزة في شكلها؛ فقد تكون العلاقات الاجتماعية مؤقتة أو طويلة الأجل وقد تكون ممتدة ومتشعبة أو علي النقيض محدودة النطاق..الخ. وتنطوي هذه الأشكال – بدرجة متفاوتة – علي وحدات للتحليل السوسيولوجي ، كما أن كلاً منها علي حده ينطوي على قدر متفاوت نسبياً من الاتصال الهادف، بل وإمكانية المعرفة المسبقة بسلوك الشخص الآخر في إطار ذات العلاقة [1]

رابعا:العلاقات الاجتماعية عبر الانترنيت: رؤى متعددة الأبعاد

بتركيز نطاق البحث والتحليل علي ماهية العلاقات الاجتماعية عبر الإنترنت، وما قد تتضمنه من فرص كامنة أو في المقابل مخاطر مستترة، يمكن القول بأن ثمة نقاشات محتدمة في الآونة الأخيرة حول الدور الخطير الذي تلعبه الإنترنت في عزل الأفراد اجتماعياً وتفكيك العلاقات بين الأفراد في المجتمع، فالأفراد أصبحوا يقضون وقتاً طويلاً في التعامل مع الكمبيوتر والإنترنت بطريقة لافته تسترعي الاهتمام، بما ينطوي عليه ذلك في كثير من الأحيان من حاجة إلى العزلة عن الآخرين خلال فترة الاستخدام، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى إشاعة حالة من العزلة الاجتماعية، وبالتالي إيجاد نوع من التفكك الاجتماعي، خاصة في ظل انتشار أنماط جديدة من القيم والسلوكيات المستحدثة في المجتمع العربي كله. ويشير المتخصصون في هذا الصدد إلى ما بات يطلق عليه انطوائية الكمبيوتر Computer Phyliac وتوجد هذه الحالة عندما يستمر الشخص في الجلوس أمام الحاسوب ساعات طويلة كل يوم بشكل يشبه مدمني القمار، طبعاً مع استثناء الأشخاص الذين يستدعي عملهم ذلك، وقد توجد هذه الحال لدى الأفراد الانعزاليين ذوي الشخصيات الانطوائية أو الأشخاص الذين يرغبون في الهروب من ظروفهم ومشكلاتهم الحياتية فيلجأون إلى الحاسوب ليفرغوا فيه طاقتهم وهمومهم، فضلا عن الإجهاد والتوتر النفسي الذي ينتج من استخدام الحاسوب لفترات طويلة[2].

---

[1] *زموري زينب، مسعودي خيرة: العلاقة العاطفية بين الجنسين باستخدام الوسائل الالكترونية بين المجتمع الافتراضي و المجتمع الحقيقي، ورقة مقدمة في الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في جامعة ورقلة الجزائر، 27_28 فيفري 2011*

[2] *القوصي محمد عبد الشافي: حينما يصبح (الكمبيوتر) أخطر معاول الهدم الاجتماعية، (مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد (530). عمان،2009، 385*

وكمثال من أمثلة متعددة، ونحن بصدد تحليل العلاقات الاجتماعية عبر الإنترنت – لا يمكن لنا أن نتجاهل أحد أشهر مواقع التواصل العالمية علي الشبكة الدولية للمعلومات وهو الموقع المعروف بـ "الفيس بوك"؛ والذي يتيح لمستخدم الإنترنت – دون أن يتحتم عليه دفع أي مقابل مادي – التعرف على الأصدقاء والصديقات من كل أنحاء العالم، يقرأ عن شخصياتهم، يرى صورهم ويتبادل الرسائل الخاصة والهدايا والرسومات التعبيرية، كما يمكن الموقع من إدراج مقاطع فيديو وتحميلها أيضا..الخ، واحتراماً لخصوصية مستخدم الموقع فإنه يتيح خاصية حجب أي شخص من رؤية أي شيء خاص ، كالأصدقاء المضافين لدي المستخدم...إلي غير ذلك من مزايا عديدة لا يتسع المجال للحديث عنها في هذا المقام، خاصة وأننا ننشد بالأساس تناول انعكاسات تلك التقنية علي العلاقات الاجتماعية المتبلورة اعتماداً عليها ومستفيدة من مزاياها؛ فبمجرد التسجيل بموقع"الفيس بوك" سوف تطاردك عبارة Add as a friend، والتي بمجرد أن تضغط عليها سوف يصبح لك أصدقاء من الرجال والنساء من السعودية ومصر ودول الخليج وباقي دول العالم الأخرى، كل ما عليك فعله هو أن تختار ما يناسبك. ولكن مستخدم الإنترنت – خاصة في سن المراهقة والشباب – لا يعي – في أغلب الأحيان أن هذه الصداقة قد تتطور إلى علاقة مشبوهة ذات أبعاد مغايرة. وتتزايد خطورة الأمر في عالمنا العربي الإسلامي عندما يتذرع مستخدمي الإنترنت من الذكور والإناث علي حد السواء أن لهم أصدقاء من الجنس الآخر، وكأنهم قد تناسوا أنه بمجرد أن يصبح لديهن أصدقاء من الجنس الآخر، فقد كسرت جميع الضوابط والحدود الشرعية والاجتماعية التي يعتقدون أنها تعترض انجرافهم عبر عالم الإنترنت وشبكات العلاقات الاجتماعية المتبلورة اعتماداً على تقنياته[1].

فإذا كان الكمبيوتر والدخول على شبكة الإنترنت وغرف الدردشة تعبيراً عن صيحة علمية وتكنولوجية باهرة، فإنها في وجهها الآخر تعبير عن فراغ عاطفي ونفسي ووجداني لدى بعض الأفراد، وخصوصاً في هذا العصر الذي يغلب عليه الطابع المادي ، كما أن الإقبال الشديد على غرف الكمبيوتر والدردشة عبر الانترنت يعبر – في أحيان عديدة – عن غياب الضبط الأسري والهروب من العلاقات الاجتماعية المباشرة والواضحة إلى علاقات محكومة بالسرية ومحاطة بالكتمان ومأمونة العواقب في ظاهرها إلا أنها قد تقود في النهاية إلى مزالق خطيرة تعصف بحياة الأفراد ومستقبلهم. فظاهرة غرف الدردشة التي صارت منتشرة بشكل يكاد يكون مرضياً تؤدي تدريجياً إلى الخلل في العواطف وتوجيه المشاعر في غير وجهتها الطبيعية، مما يقود الأسر إلى علاقات أخرى منحرفة. وعليه فإن الإفراط في استخدام غرف الدردشة قد يؤثر على العلاقات داخل الأسرة والمجتمع وبخاصة العلاقات الزوجية؛ وتفسير ذلك أن غرف الدردشة والإنترنت بعامة هي المكان الذي يستطيع فيه الإنسان العربي أن يتحدث مع نفسه ومع غيره بصراحة ليقول مالا يستطيع قوله في الاتصال المباشر، أما خطورة ذلك فتتمثل في أن العلاقات الزوجية تواجه فتوراً شديداً؛ وذلك بسبب توجه الزوج – مثلاً– نحو غرف المحادثة وتفضيلها

[1] *خالد غسان يوسف المقدادي: **ثورة الشبكات الاجتماعية**ة دار النفائس، الأردن، ط1، 2013، ص 152 . 153*

على الجلوس مع زوجته، والتحدث إليها مباشرة. والغريب حقاً أن الإنترنت وغرف الدردشة قد تتسبب في حدوث حالات من الطلاق من نوع جديد يعرف باسم الطلاق العاطفي وهذا النوع من الطلاق يحدث عندما يجلس الرجل على شبكة الإنترنت، ويرد بإسهاب على الرسائل الإلكترونية ما يؤدي في النهاية إلى حال من الإدمان الالكتروني، وعدم الرغبة في التحدث إلى الزوجة؛ الأمر الذي يقود لا محالة إلى الانفصال العاطفي بين الزوجين ومما يؤكد هذا، الطرح، الجدل الذي بات يثار حالياً عن التأثير السلبي لغرف الدردشة على العلاقة بين الزوجين داخل الأسرة العربية، وذلك بسبب هروب الأزواج والزوجات وخصوصاً في أثناء حدوث خلافات بينهما، إلى البحث عن نوع جديد من العلاقات عبر شبكة الإنترنت، وهذه العلاقات هي أشبه بضربة الحظ، والتي قد تخرج بعلاقة جديدة ومفيدة على المستوى الاجتماعي، أو بخسارة فادحة عندما يتم الإصطدام بأولئك الذين يبحثون عن العلاقات غير الشرعية على شبكة الإنترنت، وبالتالي إمكان حدوث ما لا تحمد عقباه. بل إن بعض الدراسات باتت تؤكد علي أن الوسائط الالكترونية الحديثة ذات تأثير سلبي كبير حتى فيما يخص العلاقات الحميمية بين الزوجين ما يؤدي إلى نوع من الجفاف، وتبلد المشاعر وبالتالي إلى زيادة المشكلات وتفكك أواصر العلاقة الزوجية، ، لاسيما إذا ما وضعنا في الاعتبار أن نسبة كبيرة من الأزواج قد يفقدوا الرغبة في التواصل مع زوجاتهم بعد أن انبهروا بنماذج من النساء عبر مواقع الدردشة الالكترونية، واعتيادهم علي نموذج الإثارة الإلكترونية التي تقدمها مواقع الدردشة وغيرها عبر الإنترنت، والتي صنعت خصيصاً للترفيه وإشباع هوايات عبر عالم افتراضي بالنسبة للشخص ذاته ولكن ذلك لا يعني إدانة الحاسوب بشكل مطلق وإنما هي دعوة إلى ترشيد استعماله وعدم المبالغة في استعماله بشكل يمثل خطراً على أمننا وسلامنا النفسي في المدى البعيد. فالمحادثة عبر الإنترنت "الدردشة" تعطي الشخص الفرصة للكلام عن أشياء لا يستطيع قولها مباشرة بسبب الهوايات المزيفة التي يستعملها مستخدم الإنترنت، وبالتالي لا تستطيع الأطراف الأخرى التعرف إلى الشخصية الحقيقية له ولا يعرفون أصلاً سوى اسمه المستعار، وبالطبع لهذا الغموض وجه ايجابي وآخر سلبي، ويتمثل الجانب الإيجابي في قيام الناس بالحديث عن شيء يخجلون منه وجها لوجه أو حتى عند الحديث في الهاتف، وهو ما يجعل عدداً كبيراً من الأشخاص المنطوين يصبحون ذوي شخصيات جريئة على الانترنت بعكس الواقع، ومن هنا يصبح الأشخاص الفاشلين اجتماعياً قادرين على إعادة التواصل مع العالم الخارجي عن طريق استخدام الإنترنت، فهناك الكثير من الأشخاص الذين يتميزون بالانطواء الذاتي تفتحت مشاعرهم من خلال الإنترنت وهو ما يظهر في العزلة الاجتماعية وعدم الاتصال الإيجابي بالعالم الخارجي، وهذه النوعية من الأشخاص قد يحصدون عدداً من المنافع من خلال شبكة الإنترنت العالمية، أما الجانب السلبي لهذا الغموض فيتمثل في استغلال بعضهم لعدم القدرة على الكشف عن هوياتهم الحقيقية ليتحدثوا إلى أشخاص مستخدمين ألفاظاً نابية أو فظة.

وتحليل محتوى العلاقات التي تتم عبر الإنترنت يبين بجلاء أن من الأمور الخاطئة التي يقع فيها الكثيرون خلال تعاملهم مع غرف الدردشة عبر الإنترنت، عدم تمييزهم بين العلاقات الاجتماعية عبر هذه

المحادثات وبين نظيرتها الواقعية، أو بين العالم الافتراضي والعالم الحقيقي؛ حيث يفعلون ويقولون أشياء عبر العالم الافتراضي لا يفعلونها أو يقولونها في العالم الواقعي، وعلي مستخدمي الإنترنت – لاسيما الشباب منهم – أن يتفهموا أن الإنترنت عالم حقيقي، حتى وإن كانت العلاقات التي يقيمونها افتراضية؛ فتجاهل هذا قد يؤدي بهم إلى المتاعب؛ فالمستخدم عندما يقوم بعمل محادثة عبر الإنترنت فهو يقوم بها مع أشخاص حقيقيين لهم مشاعر حقيقية، ومن ثم فمستخدم الإنترنت عليه أن يعامل الناس بالاحترام نفسه الذي يعاملهم به وجها لوجه، أو في أثناء الحديث معهم من خلال الهاتف، وعلى الرغم من ذلك هناك بعض الاختلافات؛ فعندما يحادث مستخدم الإنترنت شخصاً بشكل مباشر ووجهاً لوجه فهو يرى جيداً حركات وجهه ولغة جسده بما فيها من حركة وصوت، وخصوصاً أن هذه الإشارات تشكل نسبة مؤثرة من الاتصال البشري، أما المحادثة عبر الإنترنت فهي تتم سرا، وهذا يعني أن تلك النسبة المؤثرة من الاتصال المتعلقة بلغة الجسد مفتقدة، وبالتالي فالمستخدم يتواصل عن طريق التخاطب فقط، وهذا ما قد يسبب سوء تفاهم على الإنترنت، أو يخلق مشاكل يمكن تجنبها[1].

خامسا: تأثير العالم الافتراضي على العلاقات الأسرية: تهديم..أم بناء؟

أصبحت الأسر تعتمد على هذه الوسائل الالكترونية الجديدة في الاتصال وأصبح الأبناء يستخدمون شبكات التواصل الاجتماعي من أجل التحاور وطلب النصيحة بدل التوجه إلى الأولياء، ولا يخفى على أحد ما لهذه الوسائل من تأثيرات سلبية على مستخدميها غير الواعين.

وقد نتج عن الإفراط في استخدام هذه الوسائط الاتصالية الافتراضية ما يلي: [2]

1- تصدع البناء والعلاقات الأسرية، حيث فقدت الأسرة تماسكها فلم تعد الأسرة تتشكل من أعضاء تتجه عواطفهم واهتماماتهم إلى داخل الأسرة، وإنما بدأ أعضاء الأسرة في الانصراف إلى الخارج، الأمر الذي أضعف بناء الأسرة فأصبح أكثر هشاشة وأقل تماسكاً.

2- انتشار الصراعات داخل بناء الأسرة، وهى الصراعات التي تشير من ناحية إلى ضعف المنظومة القيمية للأسرة وأيضاً إلى حالة الفوضى التي أثرت على تدرج المكانات والأدوار في الأسرة، ومعها سقط الاعتراف بمنظومة الحقوق والالتزامات المنوطة بالأدوار المختلفة داخل بناء الأسرة.

3- تعرضت الأسرة للاختراق سواء في منظومتها القيمية المنظمة للتفاعل في إطارها تأثراً بالإعلام والثقافة الاستهلاكية وغير ذلك من المؤثرات الأمر الذي أعجزها عن القيام بوظيفة التنشئة الاجتماعية لأبنائها بصورة فعالة، من ناحية بسبب انهيار منظومة القيم الأخلاقية والدينية، ومن ناحية أخرى بسبب ضعف سيطرة الأسرة على الأبناء(بسبب الظروف الاقتصادية بالدرجة الأولى) الأمر الذي دفع الأبناء للمشاركة في التفاعل الاجتماعي بمنظومة قيمية ضعيفة توجه سلوكياتها.

---

[1] *القوصي محمد عبد الشافي، المرجع نفسه، 387*

[2] *درويش اللبان: **تكنولوجيا الاتصال، المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية** ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2000، ص 194*

4- الاستهانة بالحياة الأسرية ذاتها، مؤشر ذلك الاتجاه إلى تشكيل أنماط من الأسرة خارج الإطار الشرعي المعترف كانتشار الزواج العرفي بأشكاله غير الشرعية إضافة إلى ارتفاع معدلات الطلاق والتفكك الأسري.

5- وقوع بعض الانحرافات والجرائم الأسرية، كجرائم الخيانة الأسرية مادية كانت أو معنوية، جرائم القتل المتبادل بين الأزواج والزوجات والأبناء، بمستويات أو معدلات لم يشهدها المجتمع في مراحل تاريخية سابقة[26].

سادسا: علاقات الصداقة الافتراضية: كثرة الصداقات..تقزيم القيم الإنسانية؟

هناك إجماع بين المهتمّين بالشّأن التربوي والاجتماعي، وحتى النفسي، على أنَّ الصداقة قيمة إنسانية سامية بين شخصين أو أكثر، ترتكز على أساس وجداني وتعاوني متين. ونجد ثلاثة أبعاد لهذه العلاقة وهي: [1]

أولاً :الاعتماديَّة المتبادلة، والتي تفرض على كل منهما تقديم الخدمات المتنوّعة، الماديَّة والمعنويَّة، وذلك ضمن حضور نفسي وروحي وجسدي تام .

ثانياً :الميل إلى المشاركة، والاهتمامات المشتركة، فلا بد من أن تتوافر بين الطرفين نقاط مشتركة من الاهتمامات، لتكون سبباً قوياً لتلاقي الأفكار والتوجّهات الفكريّة والوجدانيّة.

ثالثاً :قدرة كلّ طرف على استثارة انفعالات قويّة لدى الطرف الآخر. ومن خلال هذا البعد، تكتمل الصَّداقة، التي تعتمد أساساً على التبادل الانفعالي الإنساني، والذي لا يمكننا حصره بنوع واحد من الانفعالات، كالمحبَّة، بل من الممكن أن يتعداها إلى انفعالات القلق، والخوف، والحزن، والغضب، وغيرها..

إن تطبيقات الشبكات الاجتماعية على الإنترنت تتيح للمستخدمين أن يقوموا بخلق ملامحهم الشخصية Profiles من خلال البيانات التي يكتسبونها، وعرض الصور، والاتصال بالأصدقاء الذين التقوهم على الإنترنت أو في الواقع الحقيقي بعيداً عن الإنترنت ، ومشاهدة البيانات الشخصية للآخرين، لذا يُعد موقع فيس بوك في المرتبة السابعة من حيث الجماهيرية والتفضيل لمستخدمي شبكة الإنترنت.

كما هو الحال لموقع "لينكيد إن LinkedIn "الذي يتيح للمستخدمين خلق بيانات شخصية مبنية على خلفياتهم الوظيفية أو المهنية، ليتم ربط هذه البيانات بوسائل اتصال مهنية Professional Contacts سواء داخل أو خارج الشبكات المهنية. لذا يأتي موقع LinkedIn متأخراً كثيراً في التصنيف عن فيس

---

[1] *أشرف جلال حسن ، **أثر شبكات العلاقات الاجتماعية التفاعلية بالانترنت ورسائل الفضائيات على العلاقات الاجتماعية والاتصالية للأسرة المصرية والقطرية** ، المؤتمر العلمي السنوي الثالث المؤتمر العلمي السنوي الخامس عشر "الإعلام والأسرة وتحديات العصر"، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة، 2009 ، ص ص 475- 567.*

بوك ، حيث يمثل المرتبة 193 في ترتيب المواقع من حيث جذب مستخدمي الشبكة، محققاً 500 مليون صفحة يتم مشاهدتها خلال الشهر. [1]

ومع فرص الصداقة الكثيرة التي تقدمها هذه المواقع، يدفعنا إلى التمعن أكثر في ماهية كلمة "الصداقة" حسب إطارها الجديد، أين بات بعض المشتركين، إن لم نقل أغلبهم، يهتمون بالكم في مضاعفة عدد أصدقائهم، خاصة أن الأمر لا يكلفهم إلا الضغط على خانة "أضف كصديق"، حتى أن هناك من يختار أصدقاء ممن تعجبهم وجوههم وبلدانهم وحتى مناصب عملهم، فيما يحرص الباقي على الاختيار الأمثل أملا في إيجاد صداقة حقيقية وإن كانت بمواصفات افتراضية يمكن أن تتدعم مصداقيتها مستقبلا.

وتوفر المواقع، صداقات بالجملة حتى أن الكثير من المشتركين يتفاخرون فيما بينهم بالرقم الذي وصلت إليه قائمتهم التي تضم في بعض الأحيان مئات "الأصدقاء". ومن هذا المنطلق يصعب الحديث عن صداقة حقيقية إذ كيف يمكن أن يكون الفرد صديقًا لهذا العدد الهائل في الوقت نفسه.

في كثير من الأحيان تصبحُ هذه العلاقات الافتراضية بعدَ فترةٍ جاهزة لأن تكون مشروع صداقة العمر وبعضها الآخر يكفي اللقاء بهم مرّة واحدة أو اثنتان كزيادة للـ" واقعيّة" قبل أن تعود لتكمل الصداقة مسيرها على الانترنت فقط، ويمكننا أيضاً أن نذهب بعيداً لأن يصبحَ ذلك الشخص "الالكتروني المنشأ"، شريك المستقبل ومشروع عائلة ناجحة أو مجرّد تجربة حبّ فاشلة. فكلّ ذلك يعتمد على طبيعة الأشخاص ولا يمكن تعميمهُ بشكلٍ واحدٍ على الجميع وإطلاق الحكم على العلاقات الالكترونية جميعها بناءً عليه، تماماً كما لا يجب تعميم جميع العلاقات الواقعيّة بصورة واحدة فحتى في العالم الواقعيّ نحنُ نمتلكً صداقات أقوى من أخرى بشكلٍ تلقائيّ و نمتلك صداقات ترتبط بأماكن معيّنة لا نراها أو نحاول التواصل معها بعيداً عن تلك الأماكن (أصدقاء العمل مثلا). وبالتالي فبعض الباحثين يرون بأنه لا شيء غريب في العالم الالكتروني، حيث أن الطرف الآخر مثلنا تماماً وتنطبق عليه معظم النظريات البشريّة وسنرى هذا واضحاً في الأجيال القادمة التي لن تكون العلاقات الإلكترونية دخيلةً على عالمها بل ستلدُ وتكبر معها ولذا ستكونُ بالنسبة إليها أمراً بديهياً لا يحتاج إلى تحليلات أو نقاشات.

يرى عالم الاجتماع دومينيك كاردون Dominique Cardon أننا نختار أصدقاءنا عبر الإنترنت بثلاث طرق تجعلهم ينقسمون إلى ثلاثة أنواع من الأصدقاء. فهناك المعارف القدامى، وهم إما أصدقاء عمل سابقون أو زملاء دراسة سابقون، وكلّ تلك العلاقات القديمة، التي ما كان يمكن الحفاظ عليها قائمة لولا وجود شبكات التواصل الاجتماعي. والنوع الثاني، هو علاقات اجتماعية خاصة مع أشخاص تجمعنا معهم هوايات واحدة أو اهتمامات واحدة. مثلاً، مرض معيّن أو مشكلة عائلية معيّنة. والنوع الثالث من

---

[1] *عبد الرزاق محمد الدليمي: **مدخل إلى وسائل الإعلام الجديد**، ط1، دار المسيرة،الأردن، 2012، ص195. 196*

أصدقاء الشبكات الاجتماعية، هو أصدقاء أصدقائنا، حيث إنّه من النادر جدّاً أن نغامر بقبول صداقة أشخاص غرباء تماماً عنّا". [1]

إلا أنّ هذه الأبواب الصغيرة التي نفتحها في عالم شبكات التواصل الاجتماعي، تمكّننا من اختصار مراحل كثيرة في صنع علاقات اجتماعية، وذلك على الرغم من أن مثل هذه الطريقة في بناء الصداقات، نادراً ما تمكّن المرء من دخول أوساط هو ليس منها.

خاتمة:

تدور العلاقات الاجتماعية في شبكتين منفصلتين – العائلة والأصدقاء – . وفي المجتمعات التقليدية، يرتبط كل فرد ارتباطاً مباشراً بباقي أفراد المجتمع، سواء كانت الصلة قرابة رحمية، أو بحكم التداخل الذي تحكمه الأعراف والتقاليد. أما في المجتمعات الافتراضية، كمواقع التواصل الاجتماعي فإن هذا لم يعد صحيحاً، إذ يعيش الفرد بين حشد من الغرباء، المتوهمون بأنهم أصدقاء. تعيش الكائنات الحية، في مجموعات رهينة لبيئتها، حول مصادر الحياة التي تجمعها كالغذاء والماء والمناخ. وكذا الحال عند مدمني المواقع الاجتماعية. إذ يعتقد الكثيرون، أنها بمثابة مجتمعات من نوع آخر للإنسان، تكون علاقات المشتركين بها مبنية على مفاهيم مجتمعية، تتشابه إلى حد ما – حسب معتقداتهم – مع تلك التي تجمع آخرين بالعوالم الحقيقية[2].

و.يقتضي التحليل الموضوعي القول بأن العلاقات الاجتماعية على الإنترنت، أو استخدام الخدمات الالكترونية للتواصل مع الآخرين والتفاعل معهم حول الاهتمامات أو النشاطات المشتركة في ظل عالم افتراضي؛ هو أمر يمكن أن يقدم وسيلة ممتازة لمتابعة الهوايات وتأسيس الصداقات الجديدة وتعزيز تلك المكونة أصلاً، وممارسة الألعاب والتشارك بالأفكار. ولكن بالرغم من كثرة فوائد التواصل على الإنترنت، إلا أن الانسياق غير الواع صوب تأسيس العلاقات الاجتماعية عبر الإنترنت، بما قد تتضمنه من نشر لكثير من المعلومات الشخصية على صفحات الموقع الخاص أو المدونة الإلكترونية أو حتى أثناء تبادل الحديث على الإنترنت قد يشكل مخاطر علي مستخدم الإنترنت؛ حيث أن عدم المبالاة يمكنها أن تؤدي إلى الإساءة إلى سمعة مستخدم الإنترنت من جراء استعمال تفاصيله الشخصية بطرق لم يقصدها أبدا و خارج السياق الخاص بها، أو تعرضه إلى: (الاحتيال – سرقة الهوية – النصب – الرسائل الإلكترونية الإعلانية المزعجة – التحرش أو المطاردة الإلكترونية...الخ). [3]

---

[1] *Dominique cardon : **La démocratie internet promesses et limites**, éditions du Seuil et La République des idées, France, septembre 2010,p57*

[2] *ليف مانوفيتش، تر: عبير سلامة: **الجيل الثاني من شبكة الانترنت الاقتصاد الجديد لوسائل الإعلام**، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، العدد 161-54،162*

[3] *منير حسن منير: **العملاق الذي صرع الجميع – الهزات الارتدادية لثورة الانترنت والإعلام الجديد**، مجلة الرابطة، العدد 549، مكة المكرمة، ماي 32،2012*

وعليه نخلص إلى نتيجة مؤداها أن العلاقات الاجتماعية عبر الانترنت، تنطوي علي فرص كامنة يمكن الاستفادة منها واستثمارها بالطريقة الملائمة، وبما يتسق وخصوصية مجتمعنا العربي الإسلامي من جهة، كما تنطوي كذلك على مخاطر مستترة غير ظاهرة قد تدفع إلى منزلقات مجتمعية تؤثر بالسلب علي مرتادي الإنترنت غير الواعيين بمسالب هذه التقنية الحديثة غير المحدودة من جهة أخرى.

***قائمة المراجع :**

1- محمد جمال الفار: ***المعجم الإعلامي***، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010

2-Serge Proulx**: les communautés virtuelles, construisent –elles du lien social** ?, colloque international : l'organisation média, dispositifs médiatiques, sémiotiques et des médiations de l'organisation, université Jean Moulin,Lyon, 19_20/11/2004

3- عباس مصطفى صادق: ***الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات***، ط1، دار الشروق، الأردن،2008

4- فاطمة الزهراء عبد الفتاح: ***المدونات الالكترونية والمشاركة السياسية***، ط1، دار العالم العربي، مصر،2012

5- زموري زينب، مسعودي خيرة: ***العلاقة العاطفية بين الجنسين باستخدام الوسائل الالكترونية بين المجتمع الافتراضي و المجتمع الحقيقي***، ورقة مقدمة في الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في جامعة ورقلة الجزائر، 27_28 فيفري 2011

6- القوصي محمد عبد الشافي: ***حينما يصبح (الكمبيوتر) أخطر معاول الهدم الاجتماعية***، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد (530). عمان،2009، 385

7- خالد غسان يوسف المقدادي: ***ثورة الشبكات الاجتماعية***ة دار النفائس، الأردن، ط1، 2013،

8- القوصي محمد عبد الشافي، المرجع نفسه، 387

9- درويش اللبان: ***تكنولوجيا الاتصال، المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية*** ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2000

10- أشرف جلال حسن: ***أثر شبكات العلاقات الاجتماعية التفاعلية بالانترنت ورسائل الفضائيات على العلاقات الاجتماعية والاتصالية للأسرة المصرية والقطرية*** ، المؤتمر العلمي السنوي الثالث المؤتمر العلمي السنوي الخامس عشر "الإعلام والأسرة وتحديات العصر"، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة، 2009

11- عبد الرزاق محمد الدليمي: ***مدخل إلى وسائل الإعلام الجديد***، ط1، دار المسيرة،الأردن، 2012

12- Dominique cardon : ***La démocratie internet promesses et limites***, éditions du Seuil et La République des idées, France, septembre 2010.

13- ليف مانوفيتش، تر: عبير سلامة: ***الجيل الثاني من شبكة الانترنت الاقتصاد الجديد لوسائل الإعلام***، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، العدد 161-162

14- منير حسن منير: ***العملاق الذي صرع الجميع – الهزات الارتدادية لثورة الانترنت والإعلام الجديد***، مجلة الرابطة، العدد 549، مكة المكرمة، ماي 2012